



كلية الآداب والعلوم  
College of Arts and Sciences  
QATAR UNIVERSITY قطر، جامعة



مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University

أنساك  
ANSAQ



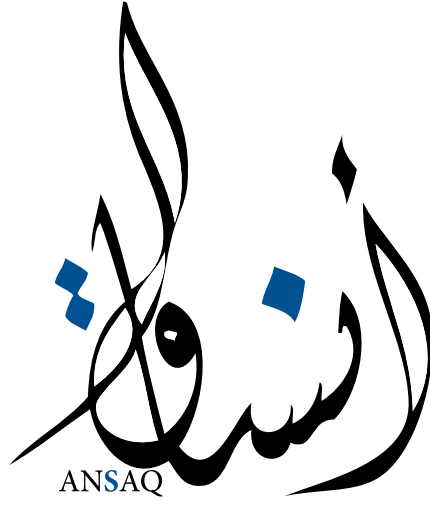
ON LINE-ISSN: 2520-7148

PRINT-ISSN: 2520-713X

مايو  
2017

العدد  
1

المجلد  
1



مجلة علمية دولية محكمة  
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

المجلد الأول  
العدد الأول - مايو 2017م

المجلد الأول، العدد الأول  
مايو 2017م  
لوحدة غلاف العدد للفنان : علي حسن  
شعار اسم أنساق بخط : إبراهيم أبو طوق

### للمراسلات

قطر – الدوحة، ص ب 2713 جامعة قطر. كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية – مجلة أنساق

المراسلات باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني للمجلة : [ansaq@qu.edu.qa](mailto:ansaq@qu.edu.qa)

الموقع الإلكتروني للمجلة : [www.qu.edu.qa/ansaq](http://www.qu.edu.qa/ansaq)

التقييم الدولي الإلكتروني : Online-ISSN:2520-7148

الرقم الدولي : Print-ISSN:2520-713X

هاتف رقم : + 974-4403-6441 + 974-4403-4823

فاكس رقم : + 974-4403-4501

رقم الإيداع : 445/2016



مجلة علمية دولية محكمة

تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

\* المدير العام \*

الدكتورة مريم النعيمي  
رئيس قسم اللغة العربية

\* مدير التحرير \*

د. أحمد حاجي صفر

\* الإشراف العام \*

الدكتور راشد أحمد الكواري  
عميد كلية الآداب والعلوم

\* رئيس التحرير \*

أ.د. عبد القادر فيدوح

\* هيئة التحرير \*

امتنان الصمادي  
رامي أبو شهاب  
رضوان المنيسي  
عبد الله الهيتاري  
عماد عبد اللطيف  
عمرو محمد فرج مدكور  
محروس بريك  
محمد مصطفى سليم  
هيا محمد الدرهم  
علي فتح الله  
لولوة حسن العبد الله

\* الهيئة العلمية \*

حافظ إسماعيلي علوي  
حبيب بوهروور  
رشيد بوزيان  
عبد السلام حامد  
مبارك حنون  
محمد لطفي اليوسفي  
محمود الجاسم  
مراد مبروك

\* الهيئة الاستشارية \*

حمد بن عبد العزيز الكواري (قطر)  
سعيد يقطين (المغرب)  
شكري المبخوت (تونس)  
عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي (قطر)  
عبد الله العشي (الجزائر)  
عقيل مرعي (إيطاليا)  
علي الكبيسي (قطر)  
فاضل عبود التميمي (العراق)  
مصطفى قرقرز (تركيا)  
معجب العدوانى (السعودية)  
هادي حسن حمودي (بريطانيا)  
Eric Gautier (France)  
Luc Deheuvels (France)

## قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث العلمية الرصينة باللغة العربية في حقل الآداب والعلوم الإنسانية.
2. تخضع البحوث المنشورة للتحكيم على نحو سري.
3. يجب ألا يقل عدد كلمات البحث عن 4000 كلمة، ولا يزيد عن 8000 كلمة.
4. ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة.
5. أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث:
  - ✻ عنوان البحث باللغة العربية،
  - ✻ اسم الباحث باللغة العربية،
  - ✻ اسم الجامعة،
  - ✻ البريد الإلكتروني،
  - ✻ ملخص البحث باللغة العربية (فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
  - ✻ الكلمات المفتاح (لا تزيد عن سبع كلمات)
6. أن تتضمن الصفحة الثانية من البحث:
  - ✻ عنوان البحث باللغة الإنجليزية،
  - ✻ اسم الباحث بالحرف اللاتيني،
  - ✻ اسم الجامعة بالحرف اللاتيني،
  - ✻ البريد الإلكتروني،
  - ✻ ملخص البحث باللغة الإنجليزية (في فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
  - ✻ الكلمات المفتاح باللغة الإنجليزية (لا تزيد عن سبع كلمات)
7. توضع الهوامش في أسفل كل صفحة، وتكون مربوطة بشكل آلي بالمتن. كما يبدأ ترقيم الهوامش عند بداية كل صفحة جديدة.
8. إذا تكرر ذكر المرجع في الصفحة نفسها، يشار إليها بـ "المرجع نفسه".
9. توثق الإحالات على النحو الآتي: يذكر اسم المؤلف العائلي فالشخصي، ثم عنوان الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة. (على أن يوثق المرجع بشكل كامل في لائحة المصادر والمراجع ويكون ذلك على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الجزء / أو العدد، الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع).
10. أي بحث لا تتوفر فيه الشروط الشكلية المذكورة يستبعد تلقائياً دون النظر في محتواه.

## فهرس

### استهلال

كلمة الدكتور عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي .

### متون

- 15 ..... المقاربة الإدراكية للرمزية الصوتية: شعرية الاشتقاق في تجربة الشاعر أمل دنقل محي الدين محسب
- 33 ..... الانبعاث في شعر خليل حاوي: (قراءة في ديوانيه الأوّلين: «نهر الرماد» و«الناي والريح») إحسان بن صادق اللواتي
- 53 ..... سيميائية الشخصية في رواية «مملكة الفراشة» لواسيني الأعرج مفرح بن شعبان عسييري
- 75 ..... الصّمت في الحوار «رواية موسم الهجرة إلى الشمال» للطّيب صالح نموذجاً زهير القاسمي
- 93 ..... الذاكرة والإبداع في مجموعتي «سيرة نعل» و«من أحاديث القرى» عبد الله محمد الناصر محمد عدنانني

### قراءات

- 117 ..... الحجاج في خطاب جرير الشّاكي رضى عبد الله عليبي
- 133 ..... بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة «النبأ» (دراسة تطبيقية) أمير فاضل سعد العبدلي
- 151 ..... سمات التلاقي والتناهي بين الأسلوبية والبلاغ طاطة بن قرماز
- 171 ..... مَوْتُ مُخْتَلَفٌ: رواية الوريث الإشكالي مَنْ أَنَا؟ وكيف للذات أن تستردّ ذاتها؟ حسن المودن

## دلالات

- 187 ..... أحمد المتوكل ..... الوظيفية وهندسة الأنحاء
- 207 ..... صابر الحباشة ..... منظورات نقدية للاشتراك الدلالي ونظرياته (راستيه- ستيفنس- ريمر)
- 229 ..... جمعة صبيحة ..... الحراك المصطلحي البلاغي إلى حدود القرن الخامس للهجرة
- 247 ..... سليمان حسين العميرات ..... أثر الفراء في تأسيس البناء البلاغي العربي

## ترجمات

- 269 ..... حافظ إسماعيلي علوي ..... اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات
- 291 ..... إبراهيم عامر ..... الدراسة الإدراكية للضن واللغة والأدب



# الوظيفية وهندسة الأنحاء

أ.د. أحمد المتوكل  
جامعة محمد الخامس، المغرب

تاريخ الاستلام: 2017 /03/15 م

تاريخ القبول: 2017 /04/18 م

## الملخص:

اقترحت خلال السنوات الأربعين المنصرمة عدة نماذج للجهاز الواسف في «نظرية النحو الوظيفي».

وما نرومه في هذا المقال هو أن نبين أهم الدوافع المراسية والإبستمولوجية على السواء الثاوية خلف مختلف النماذج والهندسات المقترحة مع التركيز على أحدثها: «نموذج نحو الخطاب الوظيفي» (هنخفلد وماكنزي 2008) و«نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع» (المتوكل 2011).

## الكلمات المفاتيح:

بنية اللغة وظيفية اللغة - نمذجة هندسة جهاز واسف مكون - كفاية تداولية - نموذج مستعمل اللغة الطبيعية - القدرة التواصلية - الخطاب المتوسط.



## Functional Grammar and architecture of grammars

**Ahmed Moutaouakil**

Mohamed V University. Morocco

ahmed.moutaouakil@yahoo.com

### **Abstract:**

My main aim in this study is to give an historical overview of the different and organizations of grammar as proposed during the last four decades within the theoretical framework of Functional Discourse Grammar and their empirical as well as epistemological motivations.

A special attention will be paid to the two most recent models, namely "Functional Discourse Grammar "(Hengeveld and Mackenzie 2008») and "Extended Functional Discourse Grammar" (Moutaouakil 2011).

### **Keywords:**

Functional Grammar- architecture of grammars- Functional Discourse Grammar-  
Extended Functional Discourse Grammar

## 1.1. مستوى الوصف: من البنية إلى البنية-

### الوظيفة

تحصر النظريات اللسانية «الصورية» - كما يدل على ذلك هذا الوصف - في منحيتها البنيوي والتوليدي التحويلي موضوعَ الدرس اللساني في بنية اللغة مجردة معزولة عن السياق ومفصولة عن الوظائف التي تُسخر اللغة لتأديتها داخل المجتمعات البشرية وبالخصوص وظيفة التواصل.

يترتب على هذا الدفع، منهجياً، أن مقارنة بنية اللغة يمكن وينبغي أن تتم في استقلال كامل عن أي وظيفة قد تؤديها اللغة بما في ذلك إقامة التواصل بين مستعمليها.

في المقابل، تُجمع النظريات اللسانية «الموجهة وظيفياً/تداولياً» بمختلف مدارسها على تبني الأطروحات الأساسية التالية:

#### (1) الأطروحة الأولى

تُسخر اللغة لتحقيق أغراض متعددة تتفرع جميعها عن وظيفة أصل واحدة: تعد اللغة أقوى وأدق وسيلة لتأديتها: وظيفة التواصل.

تُعدّ العبارات اللغوية، من هذا المنظور، وسائل لتأدية أغراض تواصلية معينة تسهم إلى حد كبير في تحديد خصائصها البنيوية.

لنأخذ المثالين التاليين لتوضيح ذلك:

(2) (أ) تزوج خالد هنداً

(ب) هنداً تزوج خالد (بنبر

«هنداً».)

## مدخل

من المراحل «المفصلية» في تطور البحث اللساني الحديث، الانتقال من رصد الظواهر وتحليلها إلى البحث في القضايا وحلولها.

ومن أهم القضايا التي عُنِي بمناقشتها في نظرية النحو الوظيفي، إلى جانب خصائص اللغات الطبيعية وأنماطها وتطورها، قضية صناعة النماذج اللسانية وهندستها.

وقد مرت هذه العملية بمراحل حكم محطاتها الأساسية وسيطان اثنان: وسيط طبيعة موضوع الدرس اللساني وحدوده، وسيط نوع ومستوى الكفاية المستشرف بلوغها.

### 1. الموضوع: بين الواقع والمنظور

من بين أهم مبادئ المنهج العلمي الحديث التمييز بين الواقع الأنطولوجي «الخام» والواقع الذي تجزئته مختلف النظريات وتنقيه وتكيفه حسب منطلقاتها وأهدافها وتتخذ موضوعاً لها. مفاد هذا أن المعطى الخاضع للوصف؛ أي «الموضوع»، يختلف من نظرية علمية إلى نظرية علمية أخرى.

نفس المبدأ نجدّه قائماً ضمن أسس الدرس اللساني الحديث في شكل الرأي القائل: «إن المنظور يخلق الموضوع»<sup>(1)</sup> والذي تطور ليصبح يعني أن كل نظرية لسانية «تقتطع» من المعطى اللغوي الخام «موضوعاً» ترضه منطلقاتها المنهجية العامة.

(1) F. D. Saussure, Cours de linguistique générale.

آخر تماما كما يتاح لعالم الأحياء أن يدرس بنية القلب في استقلال عن وظيفة ضح الدم<sup>(2)</sup>.

أما من منظور المنحى اللساني الوظيفي فإن بنية اللغة ترتبط بوظيفتها ارتباطاً تبعيَّة بحيث يسوغ القول إن اللغة هذه البنية لأن لها هذه الوظيفة ولو كانت لها وظيفة أخرى غير وظيفة التواصل لكانت لها بنية مختلفة تمام الاختلاف<sup>(3)</sup>.

ارتباط التبعية هذا يجعل من غير المجدي إن لم يكن من غير الممكن مقارنة البنية مفصولة عن الوظيفة. مثال ذلك أننا إذا عدنا إلى الجملتين (2أ) و(2ب) أدركنا باللموس أن تصدير المفعول في الجملة الثانية لا وصف ولا تفسير كافيين له إلا بالعودة إلى السياق الموجب لتبئير هذا المكون.

#### (4) الأطروحة الرابعة

تتحكّم وظيفة التواصل في بنية اللغة ترمّنا تحكّمها فيها تزامنا. أثبتت دراسات عدة<sup>(4)</sup> أن تطور اللغات البشرية يخضع لمبدأين متنافسين هما مبدأ «التواصل الأمثل» الذي يوجهها نحو المزيد من «الشفافية» ومبدأ «الكلفة الأقل» الدافع بها نحو تقليص الوسائل إرضاء لنزوع ما يسمى «الجهد الأدنى».

(2) Chomsky, Noam, Reflections on language.

(3) Halliday, M.A.K, Language Structure and Language Fun - tion.

(4) (هنخفلد (2011) والمتوكل (2012) ضمن آخرين))

في المقاربة الصورية، يكمن الفرق بين الجملة (2 أ) والجملة (2 ب) في أن المكون المفعول في الجملة الأولى محتل لموقعه الأصلي بعد الفعل ومُصدّر في الجملة الثانية.

أما في المقاربة الوظيفية، فيُعَلّل تأخير المفعول في الجملة الأولى حملُه لمعلومة «جديدة» وتصديره في الجملة الثانية أن القصد هو تصحيح إحدى معلومات المخاطب باعتبار هذه الجملة ردّاً على الجملة (2):

(2) بلغني أن خالدا تزوج بثينة

#### (2) الأطروحة الثانية

من شروط «نجاح» عملية التواصل مطابقة العبارة اللغوية لسياق استعمالها مقاما ومقالا.

نقصد بالسياق المقالي مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصل معين وبالسياق المقامي مجموعة المعارف والمدارك التي تتوافر لدى كل من المتكلم والمخاطب أثناء عملية التواصل<sup>(1)</sup>.

#### (3) الأطروحة الثالثة

تعدُّ بنية اللغة في المنحى اللساني الصوري نسقا مجردا تحكّمه مبادئه وقواعده الخاصة. بهذا يتسنى لدراس اللغة أن يرصده في معزل عن أي شيء

(1) أحمد المتوكل، الأفعال غير الواجبة في كتاب سيبويه: الإنشاء وأساليبه بين أنفية ابن مالك والنحو الوظيفي.

## (5) الأطروحة الخامسة

أولاهما أنها متوالية صوتية صرفية-تركيبية دلالية تتحدد مكوناتها والعلاقات القائمة بين مكوناتها بقطع النظر عن أي سياق، وثانيتها أنها قد تكون بسيطة أو مركبة (تركيب عطف أو تركيب إدماج) لكنها تعد أقصى وحدة للتحليل اللساني.

أما في الاتجاه الثاني فإن موضوع الدرس ووحدة التحليل نص كامل يقارب داخل سياقي إنتاجه وتأويله.

### ملحوظة:

ليس كل نص خطابا وليس كل لسانيات النص لسانيات خطاب. نقصد هنا بالخصوص الدراسات البنيوية التوزيعية<sup>(1)</sup> التي تقارب النص معزولا عن سياقه على أساس أنه مجرد متوالية من الجمل بالمعنى المبين أعلاه.

### 3.1. مجال الوصف: من المتن إلى الذهن

من «القفزات المعرفية» الحاسمة في الفكر اللساني الحديث نقل موضوع الدرس من «خارج» مستعمل اللغة إلى «داخله»، من المتن المنطوق/المكتوب إلى الذهن، من السلوك اللغوي إلى التمثلات الذهنية. بتعبير آخر، تم نقل موضوع الدرس من «الإنجاز» إلى «القدرة» التي تنوي خلف الإنجاز وتتيحه وتحكمه.

لم يعد هناك الآن خلاف في ورود ثنائية القدرة/الإنجاز وأهميتها المعرفية في التنظير اللساني. ما يُخْتَلَف فيه، بهذا الصدد، طبيعة القدرة وفحواها.

لكل نمط من اللغات خصائصه التي ينفرد بها وتميزه عن غيره من الأنماط وتتطلب أن يوضع لكل نمط نحوه الخاص. إلا أن للسان الطبيعي خصائص عامة تتقاسمها اللغات على اختلاف أنماطها وهو ما يسمى «الكليات اللغوية».

إذا كانت الكليات اللغوية في النظريات اللسانية ذات المنحى الصوري كليات صوتية وصرفية-تركيبية ودلالية فإنها تجمع في النظريات اللسانية الوظيفية بين الوظيفة والصورة، بين بنيات معينة وما تسخر هذه البنيات لتأديته من أغراض تواصلية. بتعبير أدق، يمكن القول إن ما يؤالف بين اللغات مجموعة من الوظائف تأتلف اللغات أو تختلف في التراكيب التي يُتوسَّل بها في تحقيق هذه الوظائف.

مثال ذلك أن تصحيح المعلومات الذي مرّ بنا وظيفته من الوظائف الكلية تتحقق حسب أنماط اللغات إما عن طريق الرتبة أو عن طريق صُرفات معينة أو بواسطة تراكيب مخصوصة («الفصل» أو «شبه الفصل» مثلاً).

### 2.1. وحدة الوصف الدنيا: من الجملة إلى

#### الخطاب

من المتداول في الأدبيات اللسانية التمييز بين اتجاهين لسانيين اثنين: «لسانيات الجملة» و«لسانيات الخطاب». موضوع الدرس في الاتجاه الأول هو الجملة متممة بسمتين:

(1) Harris, Zellig S, Discourse Analysis.

مصطلح «الكفاية» تُدوول وشاع فلم يعد ثمة كبير ضير في استعماله.

يقال عن نظرية لسانية ما إنها «كافية» إذا كانت تلائم، مبادئ ومفاهيم وآليات، ما تتخذه موضوعاً للدرس. والكفاية كما هو معلوم مستويات ثلاثة: كفاية «ملاحظة» وكفاية «وصف» وكفاية «تفسير» باعتبار المستوى الثالث أعلاها وأهمها.

اقترحنا في بعض كتاباتنا<sup>(2)</sup> إضافة نوع ثان من الكفاية إلى جانب الكفاية اللغوية الصرف أسمىناه «الكفاية الإجرائية» وهي مدى قدرة النظرية على مقارنة قطاعات أخرى ذات صلة باللغة.

## 2.2. الكفاية التفسيرية

الكفاية التفسيرية في نظرية النحو الوظيفي ثلاث كفايات متكاملة: الكفاية التداولية والكفاية النفسية (أو «المعرفية») والكفاية النمطية.

### 1.2.2. الكفاية التداولية

يعرف دك<sup>(3)</sup> الكفاية التداولية كالتالي: «على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة تلك الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي. ويعني هذا أنه يجب ألا نتعامل مع العبارات اللغوية

(2) المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية. والمتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر

اللغوي العربي: الأصول والامتداد.

(3) Dik, Simon C, The Theory of Functional Grammar.

القدرة في النظريات اللسانية الصورية، متمثلة في النظرية التوليدية التحويلية على الخصوص، قدرة لغوية «محضة»؛ أي «نحو» قوامه قواعد صرفية-تركيبية وقواعد دلالية وقواعد صوتية. قد تضاف إلى هذه المعرفة اللغوية معرفة عامة فيُتحدث عن قدرتين، «قدرة نحوية» و«قدرة تداولية» على أساس أن القدرة الثانية مستقلة تماماً عن القدرة الأولى وأن القدرة الأولى وحدها يمكن أن تكون موضوعاً مستقلاً للدرس اللغوي<sup>(1)</sup>.

وأما القدرة في النظريات اللسانية ذات التوجه الوظيفي / التداولي «قدرة تواصلية» تشمل كل المعارف التي تُمكن مستعمل اللغة من التواصل «الناجح». إلى جانب المعرفة اللغوية، تشمل القدرة التواصلية معارف أخرى لا تقل أهمية كالمعرفة الاجتماعية والمعرفة الإدراكية والمعرفة المنطقية الاستدلالية وغيرها يستحضرها المتكلم-السامع أثناء عمليتي الإنتاج والفهم بتفاوت، حسب موقف التواصل وملاساته ونمط الخطاب المنتج.

## 2. الهدف: من كفاية الوصف والتفسير إلى

### كفاية التفعيل

### 1.2. الكفاية مفهومها

ليس مصطلح «الكفاية» في الواقع المصطلح المناسب لترجمة المصطلح الأجنبي الأصل (Adequacy). كان من الأفضل أن يُقترح مصطلح «الملاءمة» مقابلاً عربياً، لكن

(1) Chomsky, Noam, Reflections on language.

نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارة اللغوية وتأويلها. وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاية النفسية أن يعكس بطريقة أو أخرى ثنائية الإنتاج/ الفهم هذه».

### 3.2.2. الكفاية النمطية

من التحديدات المقترحة في نظرية النحو الوظيفي<sup>(2)</sup> التحديد التالي الذي يجعل هذه النظرية تتخذ وضعا وسطا بين الدراسات «النمطية» والدراسات الرامية إلى «النحو الكلي» المتمثلة خصوصا في النظرية التوليدية التحويلية: «يزعم المنظرون لسان الطبيعي أن بإمكانهم حصر الاهتمام في لغة واحدة أو في عدد من اللغات بينما يقارب النمطيون اللغات مقارنة «محايدة نظريا» تعتمد منهاجا استقرائيا شبه تام. إن الدراسة النمطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطرتها مجموعة من الفرضيات النظرية ولا تكون، في المقابل، النظرية اللسانية ذات كبير جدوى إلا إذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق».

### 3.2. الكفاية الإجرائية

تقدم أن مقارنة اللغة مقارنة مقاربتان: مقارنة تعامل اللغة على أنها نسق مجرد لا ارتباط له بما يمكن أن يؤديه من وظائف ومقارنة تتصدى لدراسة اللغة باعتبارها أداة للتواصل داخل المجتمعات.

ليست المقارنة الأولى، بحكم منطلقها المنهجي، ملزمة إلا بإحراز كفاية لغوية

على أساس أنها موضوعات منعزلة بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تحدده العبارات السابقة وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب».

من هذا التحديد للكفاية التداولية يُستخلص أن على النظرية التي تسعى في إحراز هذه الكفاية أن تدخل في مقاربتها للعبارة اللغوية الخصائص المرتبطة بسياقي استعمالها المقالي والمقامي على السواء.

سنرى في مبحث لاحق كيفية تعامل نماذج نظرية النحو الوظيفي مع هذا الضابط وسنركز خاصة على سعي النماذج الأخيرة في تحقيق هذا المطلب عن طريق التمثيل للخصائص التداولية في قالب خاص من جهة وعن طريق تزويد النحو بمكون خاص قائم الذات يكفل رصد الوسائط السياقية المقالية منها والمقامية من جهة ثانية.

### 2.2.2. الكفاية النفسية

يُعدُّ هذا المفهوم امتدادا لمفهوم «الواقعية النفسية» (مدى مطابقة قواعد النحو لتمثلات المتكلم الذهنية) الذي اعتمده بعض نماذج النحو التوليدي التحويلي.

يحدّد دك<sup>(1)</sup> مفهوم الكفاية النفسية على النحو التالي: «تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج ونماذج فهم. تحدّد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تحدّد

(2) Ibid.

(1) Dik, Simon C, The Theory of Functional Grammar.

مصطلح «الخطاب»، كما هو معلوم، متعدد المفهوم والماصدق معاً. فيما يخصنا، نستعمل هذا المصطلح هنا كما اعتدنا على استعماله في أماكن أخرى، للدلالة على «كل ملفوظ/ مكتوب يُشكّل وحدة تواصلية كاملة في موقف تواصلية معين».

نظرية النحو الوظيفي، منذ نشأتها، نظرية خطاب ولا يمكن أن تكون، تماشياً مع أسسها المنهجية، إلا نظرية خطاب. إلا أنها مرت من حيث المراس الفعلية بمرحلتين.

قَصْرُ مُنظَرِو النحو الوظيفي موضوعَ الدرس في المرحلة الأولى على الخطاب في بعده الجملي وصيغ أول النماذج (دك (1978)) على هذا الأساس. لكن سرعان ما تبين من خلال بحوث عديدة أن كثيراً من خصائص الجملة ترتبط بما يسبق الجملة المفردة وما يليها ارتباطاً يُحتم أن تنصب المقاربة على النص ككل.

تجسيدا لهذا التوجه، صيغت النماذج التي تلت النموذج الأول بشكل يؤهلها للاضطلاع بوصف خصائص الخطاب المُجاوِز للجملة وتفسيرها، ابتداء من الجملة المركبة (تركيب عطف أو تركيب إدماج) إلى النص الكامل، كما أغني البعد التداولي في هذه النماذج بإضافة مفاهيم جديدة كالقوة الإنجازية والفعل الخطابية والوظائف التي تقوم مقام العلاقات بين الأفعال الخطابية داخل النص الواحد.

### 2.3. من النحو المعجمي إلى الأنحاء القالبية

سرف في حين أن على المقاربة الثانية الذهاب إلى أبعد من ذلك سعياً إلى الاهتمام بقضايا المحيط الاجتماعي، إلى جانب القضايا اللغوية، والاندراج في قطاعات اجتماعية- اقتصادية تحضر فيها اللغة حضوراً دالاً مثل الترجمة وتحليل النصوص بمختلف أنماطها ومجالاتها وتعليم اللغات والاضطرابات النفسية- اللغوية.

### 3. النموذج: من اللغة إلى التواصل

#### 1.3. بين الواقع والنظرية

اقتُرحت في إطار نظرية النحو الوظيفي منذ نشأتها إلى اليوم عدة نماذج لسانية (أو «أنحاء» بالمعنى اللساني الحديث) أكثرها حضوراً في حقل البحث اللساني العربي أربعة نماذج هي حسب التوالي الزمني: «النحو الوظيفي المعجمي» (دك (1978)) و«النحو الوظيفي المعياري» (دك (1997)) و«نحو الطبقات القالبية» (المتوكل (2003)) و«نحو الخطاب الوظيفي» (هنخفد وماكنزي (2008)).

خضع تطور النمذجة في هذه النظرية لما اقتضاه ضابط الانسجام مع ما طرأ من انتقال تدريجي في موضوع الدرس وسقف الكفاية المستشرف بلوغه. وكان التوجه العام عبر تاريخ صناعة النماذج وتطوير هندستها نحو الرهان على الانتقال من بناء نحو اللغة في حد ذاتها إلى بناء نحو التواصل بمختلف أنماطه وقنواته ومجالاته.

#### 1.1.3. من نحو الخطاب- الجملة إلى أنحاء الخطاب- النص

إسناد الوظائف فقواعد التعبير ثم القواعد الصوتية.

( أ ) الخزينة معجم يؤوي المفردات الأصول وقواعد تكوين تضطلع باشتقاق المفردات الفروع (كأفعال الانعكاس وأفعال المطاوعة والأفعال العلية وغيرها).

يُمثل للمفردات، أصولاً ومشتقات، في شكل أطر عملية تحدّد محلاتية المحمول ووظائف موضوعاته الدلالية وقيود التوارد التي يفرضها على موضوعاته.

يُتخذ الإطار الحلمي، أصلاً أو مشتقاً، مادة أولية لصياغة البنية التحتية للعبارة اللغوية.

( ب ) البنية التحتية حمل تحدّد فيه كل الخصائص الدلالية الممثل لها في شكل مخصّصات وسمات (جهة، زمنية...) ووظائف دلالية. ويصبح الحمل بنية وظيفية عن طريق إسناد الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول ثم إسناد الوظيفتين التداوليتين المحور والبؤرة.

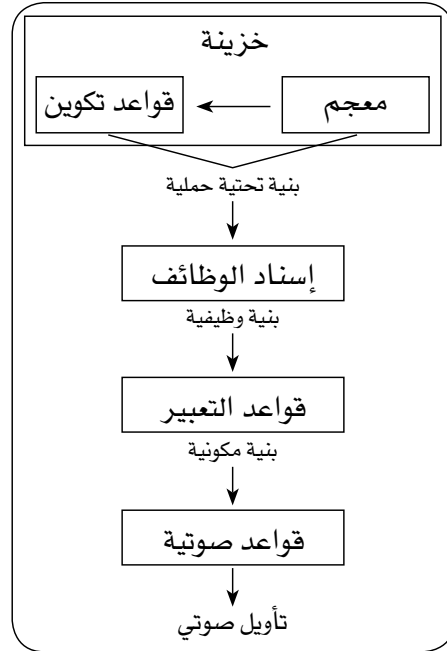
( ج ) تُتخذ البنية الوظيفية دخلاً لقواعد التعبير المسؤولة عن تحديد الخصائص الصرفية والتركيبية (الرُتبِيّة) والتطريزية (النبرية) والتنغيمية).

( د ) خرج قواعد التعبير بنية مكوّنة تنقلها القواعد الصوتية إلى تأويل صوتي.

أهم تحول في صناعة الأنحاء داخل نظرية النحو الوظيفي هو الانتقال من نمذجة تقوم على عدد من المكونات يحتل أحدها الموقع الأساس كما هو شأن المكون المعجمي في أول نماذج هذه النظرية إلى نمذجة تشتغل فيها المكونات بشكل قابل حيث يتمتع كل قالب باستقلال مجاله ومبادئه وآلياته في تفاعله مع باقي قوالب النموذج.

### 1.2.3. النحو الوظيفي المعجمي

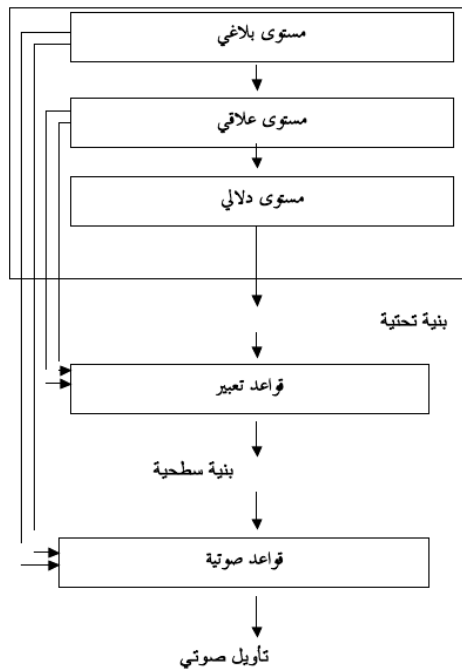
نقصد بالنحو المعجمي أول نماذج نظرية النحو الوظيفي (دك (1978)). ونقترح هنا نعتّه بالمعجمي لكونه يعتمد المعجم أساساً لبناء العبارة اللغوية ومصدراً لاشتقاقها كما يتضح من الترسيم (8):



يتبين من هذه الترسيم أن النحو المعجمي أربعة مكونات: الخزينة فقواعد



وأسلوبه، ومستوى علاقي يتضمن طبقة الاسترعاء وطبقة الإنجاز وطبقة الوجه، ومستوى دلالي يقوم على طبقات ثلاث هي الطبقة التأطيرية والطبقة التسويرية والطبقة الوصفية. وتُنقل البنية التحتية بمستوياتها الثلاثة عبر قواعد التعبير إلى بنية سطحية تُخضع للقواعد الصوتية المسؤولة عن تأويلها الصوتي كما تبين ذلك الترسيم التالية:



البنية النموذجية بنية مجردة يتم تحقيقها في مختلف أقسام الخطاب تنازلياً حسب «طاقتها الإيوائية» انطلاقاً من النص إلى المفردة ومروراً بالجملة والمركب الاسمي كما يتبين من سلمية التحقق التالية:

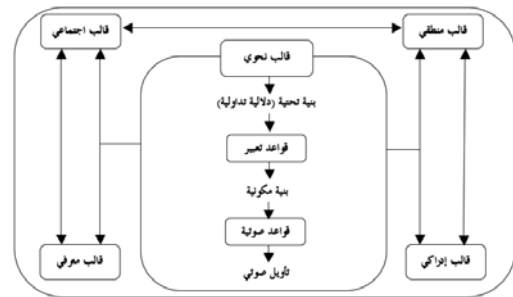
(11) سلمية تحقق البنية النموذجية:

النص > الجملة > المركب الاسمي > المفردة

### 2.2.3. النحو الوظيفي المعياري

على أساس أن القدرة التواصلية تشمل، كما سبق أن بينا، ملكات معرفية ومنطقية واجتماعية وإدراكية إلى جانب الملكة اللغوية، أصبح الهدف الأساسي بناء نموذج لمستعملي اللغة يوضح تكوينه وطريقة اشتغال مكوناته الرسم (9):

#### (9) نموذج مستعملي اللغة



يفيد الرسم (9) أن نموذج مستعملي اللغة يتكون من خمسة قوالب ترصد ملكات القدرة التواصلية الخمس على أساس استقلال كل قالب من حيث مبادئه وقواعده وتفاعل كل قالب مع القوالب الأخرى كما يقضي بذلك مبدأ القالبية.

### 3.2.3. نحو الطبقات القالبي

في ثالث مرحلة، اقترحنا (المتوكل (2003)) ما اصطلحنا على تسميته «بنية الخطاب النموذجية» التي يمكن تلخيص أهم ملامحها كالتالي:

تتكون بنية الخطاب التحتية من ثلاثة مستويات: مستوى بلاغي يتضمن ثلاث طبقات تمثل للمركز الإشاري ونمط الخطاب

### 4.2.3. نحو الخطاب الوظيفي

#### 1.4.2.3 نحو الخطاب الوظيفي المعيار

مكونات الجهاز الواصف المعتمد في نحو الخطاب الوظيفي أربعة مكونات: مكون مركزي هو: «المكون النحوي»، وثلاثة مكونات مصاحبة هي «المكون المفهومي» (أو المعرفي) و«المكون الإصاقي» و«المكون السياقي».

( أ ) يرصد المكون المفهومي المعارف اللغوية وغير اللغوية كما أنه محل رصد لقصد المتكلم من الخطاب. ويعدّ هذا المكون «القوة الدافعة» بالنظر إلى المكونات الأخرى؛

(ب) تحدّد خصائص الخطاب في المكون النحوي في ثلاثة مستويات: مستوى علاقي (تداولي) ومستوى تمثيلي (دلالي) ومستوى بنيوي.

المستويان العلاقي والتمثيلي خرجان لآلية «الصياغة» التي تمثل في المستوى الأول لخصائص الخطاب التداولية في شكل فعل خطابي يتضمن فحوى قضوياً قوامه فعل إحالي وفعل حملي وفي المستوى الثاني لخصائصه الدلالية كما يفاد من البنيتين العامتين التاليتين:

(12) [فعل خطابي: [انجاز:

[فحوى قضوي: [فعل إحالي]

(فعل حملي)]

(13) [مخصّص واقعة: [محمول

(س<sup>1</sup>)... (س<sup>ن</sup> ص<sup>1</sup>)... (ص<sup>ن</sup>)

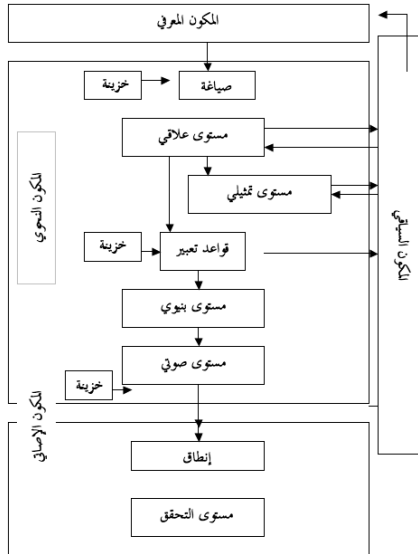
وتتكفل آلية قواعد التعبير بنقل المستويين العلاقي والتمثيلي إلى مستوى بنيوي تحدّد فيه الخصائص الصرفية- التركيبية والخصائص الفونولوجية.

(ج) خرج قواعد التعبير بنية صرفية- تركيبية- صوتية مجردة يضطلع المكون الإصاقي («الفونيتيكي») بإنطاقها في شكل عبارة لغوية محققة.

(د) المكون السياقي محط رصد العناصر المقامية والمقالية التي تواكب إنتاج الخطاب وتلقّيه ويقوم بدور الربط بين المكونات الثلاثة الأخرى<sup>(1)</sup> فيكون «مصبا» أو «رافدا» أو مجرد «معبر»<sup>(2)</sup>.

توضح الترسيمة (14) تكوين جهاز نحو الخطاب الوظيفي المعيار وطريقة اشتغاله:

#### (14) نحو الخطاب الوظيفي المعيار



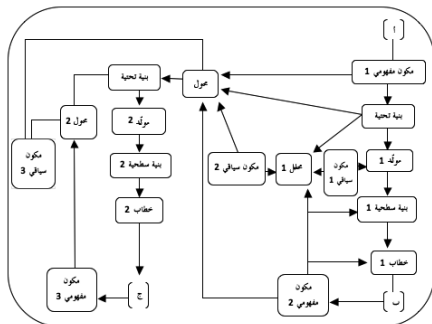
(1) هتغفلد وماكنزي (2014).

(2) أحمد المتوكل، «المكون السياقي في نحو الخطاب الوظيفي».

أولاً، أن يصبح شاملاً فيكون نموذجاً حقيقياً لمستعمل اللغة يرصد القدرة على إنتاج الخطاب المباشر وفهمه وكذلك القدرة على القيام بمختلف عمليات التحويل التي يستلزمها إنتاج الخطاب المتوسط، ترجمةً وتلخيصاً وشرحاً وتفسيراً وتأويلاً<sup>(2)</sup>. في هذا الإطار العام، يمكن إدراج عمل ماكنزي<sup>(3)</sup> عن «الكفاية المعرفية» فيما يقترح تسميته «نحو الخطاب الوظيفي الحواري».

ثانياً، أن يصبح عاماً ويؤخذ على أنه نسق مجرد يُستخدم مبدئياً لرصد التواصل أياً كانت قناته وأياً كان نمطه ومجاله على أن يتم تخصيص فحوى قوالبه المولدة والمحللة والمحوّلة عند الاقتضاء فتكون لغوية أو غير لغوية أو يكون بعضها لغوية وبعضها غير لغوية.

على أساس هذين التعديلين تكون البنية العامة لنحو الخطاب الوظيفي الموسع البنية الموضحة في الترسيم (15):



(2) المرجع نفسه.

(3) ماكنزي (2012).

يتبين من المقارنة بين الترسيمتين (9) و(14) أن أهم جديد نموذج نحو الخطاب الوظيفي كامن في الجوانب التالية:

أولاً، تم الفصل بين التداول والدلالة بحيث أصبحا مستويين مستقلين وإن جمعهما قالب واحد هو قالب الصياغة؛

ثانياً، لم تعد الخزينة مكوناً قائم الذات، بل أضحت موزعة بين آليات المكونين النحوي والإصاوي؛

ثالثاً، أُدمج القالبان الاجتماعي والإدراكي في مكون مصاحب واحد هو المكون السياقي؛

رابعاً، استُغني عن القالب المنطقي ونُقل فحواه، مبادئه وآلياته، إلى المكون المعرفي على أساس أن قدرة مستعمل اللغة الاستدلالية جزء من معارفه العامة.

أما المقارنة بين الترسيم (10) والترسيم (14) فتبين أن نحو الخطاب الوظيفي المعيار يختلف عن نحو الطبقات القالبية بكونه يغني عن المستوى البلاغي بدمج جل عناصره في المستوى العلاقي.

### 2.4.2.3. نحو الخطاب الوظيفي الموسع

دافعنا منذ بضع سنوات<sup>(1)</sup> عن أطروحة توسيع الجهاز المقترح في نحو الخطاب الوظيفي المعيار توسيعاً يتيح لهذا النموذج نقلتين أساسيتين هما:

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري.

مظهر من مظاهر إشكال نظري ومنهجي أعمّ يمكن بسط أهم جوانبه كالتالي:

1- لا خلاف يذكر بين دارسي اللغة، على اختلاف الحقب والمشارب، في اللغة البشرية من حيث طبيعتها. فجمهورهم على أنها نسق من الوحدات تقوم بينها علاقات صرفية وتركيبية وصوتية.

2- ولا خلاف أيضا، من حيث المبدأ، في أن من أدوار اللغة (إن لم يكن دورها الأساسي) تحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية.

3- الاتفاق حاصل في أن اللغات البشرية «أنماط» (بالمفهوم الحديث) أو «فصائل» (بالمعنى التقليدي) يتسم كل نمط منها بخصائص تميزه عن غيره كما أن الاتفاق حاصل في أن اللغات تتطور في شكل سنكرونيات متلاحقة.

4- لا خلاف في ذلك كله وإنما الخلاف فيما يجب أن يتخذ موضوعا للوصف والتفسير، وفقا للقول المعروفة «المنظور يخلق الموضوع» التي تجعل الموضوع رهينا بالمنظور يختلف باختلافه.

في هذا الباب يمكن التمييز بين توجيهين رئيسيين. يستهدف أولهما وصف اللغة باعتبارها نسقا مجردا معزولا عن ظروف استعماله فيما يروم ثانيهما رصد خصائص اللغة باعتبارها نسقا تحكمه مواصفات استعماله في التواصل داخل المجتمعات البشرية.

يمكن الآن أن نعود إلى إشكال السياق

#### 4. من إشكالات بناء النماذج اللسانية : طبيعة السياق وموقعه ومهامه

من المعلوم أن مواقف المدرسين اللغويين القديم واللساني الحديث من مفهوم السياق تباينت من حيث تعريف هذا المفهوم ومن حيث ورود الأخذ به في مقارنة الظواهر اللغوية.

ففي درس اللغوي العربي القديم، كان السياق حاضرا في الدراسات البلاغية وفي علمي أصول الفقه والتفسير حضورا متميزا تحت مصطلحات مختلفة أشهرها «المقام» (في مقابل «المقال») و«مقتضى الحال» و«قرائن الأحوال» إلى غير ذلك.

أما في الدراسات النحوية والصرفية فقد كان اللجوء إلى السياق لجوءا بعيدا عن الأطراد أو النسقية إن لم ينعدم انعدامها كما هو الشأن في كتب النحاة المتأخرين ذات المنحى التعليمي كالأراجيز.

أعيد إنتاج ثنائية اعتماد السياق وإقصائه في الدراسات اللسانية الحديثة فأقصت الدراسات «الصورية» (ما سمي «لسانيات الجملة» بنوية كانت أم توليدية- تحويلية) إقصاءً منهجيا كل ما يتعلق بالسياق مقاميا كان أم مقاليا بخلاف الدراسات ذات التوجه الاجتماعي («اللسانيات الاجتماعية») والتوجه التداولي أو الوظيفي.

ينبغي في نظرنا، إذا كنا نريد أن نتفهم هذه المواقف المتباينة من السياق، أن ننظر إلى ثنائية الإقصاء/الاعتماد على أنها مجرد

بوجه عام إلا حين يتعلق الأمر ببناء النماذج في اللسانيات الحديثة حيث يقوم النموذج -باعتباره جهازاً واصفاً مُصورنا قابلاً للحوسبة مصوغاً داخل نظرية لسانية معينة طبقاً لمبادئها ومنطلقاتها المنهجية- على عدد من المكونات (مكون نحوي، مكون دلالي، مكون تداولي...) قد تتعالق فيما بينها تعالقاً قابلياً يتيح إفضاء بعضها إلى بعض مع ضمان استقلال آلياتها الداخلية.

أما في الدرس اللغوي القديم، فإن السياق لا يشكل آلية من آليات التحليل ولا مستوى من مستوياته، حتى في بعض الإرهاسات «النمذجية» كالتي نجدها في «نظرية النظم» للجرجاني و«نظرية الأدب» للسكاكي<sup>(2)</sup> وإنما يقوم بدور لا يتعدى دور «المرجع» الواقع خارج «جهاز الوصف».

ويُلجأ إلى السياق باعتباره مجرد مرجع لجوءاً يتسم بسمتين: الجزئية وعدم الاطراد. السياق كما نفهمه هنا<sup>(3)</sup> سياقان: «سياق مقامي» و«سياق مقالي» ينقسم كلاهما إلى «خاص» و«عام». يتضمن السياق المقامي في شقه الخاص العناصر المرتبطة بالموقف الذي تتم فيه عملية التواصل ذاتها وفي شقه العام العناصر التي تشكل «الخلفية الاجتماعية-الثقافية» لهذه العملية. أما السياق المقالي فيتضمن السياق بمعناه الضيق؛ أي ما يسبق وما يلي نصاً ما في موقف تواصل معين

للقول إن التوجه الأول يقصي السياق في حين أن التوجه الثاني يعتمده ويجعل اعتماده شرطاً من شروط الوصف والتفسير اللذين ينبغي أن تسعى كل نظرية لسانية في تحصيلهما، خاصة إذا كان السياق وارداً فإرضاء نفسه؛ أي حين تقوم علاقة بين الخصائص البنيوية وعناصر من السياق المقامي أو المقالي تحكمها وتجعل وصفها الكافي غير متأت إلا داخل تلك العلاقة.

#### 1.4. السياق مرجعاً

فيما يخص مفهوم السياق في الدرس اللغوي القديم، لن نعيد هنا إيراد ما أورده في مكان آخر<sup>(1)</sup> ونكتفي بالإيماء إلى بعض السمات العامة التالية:

أولاً، ليس السياق حاضراً في النحو حضوره في البلاغة أو أصول الفقه أو التفسير وإنما يُلجأ إليه عرضاً في أبواب دون أخرى كأبواب ضمير العود والإشارة والتوكيد والمفعول المطلق.

إلى هذا الإقصاء الذي يمكن وصفه بالمنهجي يشير ابن هشام (المغني) حين يصنّف دليل الحذف إلى «صناعي» و«غير صناعي» (حالي ومقالي) ويصف الدليل الأول بأنه «يختص بمعرفته النحويون» وحين حديثه عن «الاستئناف البياني».

ثانياً، لا يتسنى الحديث طبعاً عن مفهوم «المكون السياقي» ولا عن مفهوم «المكون»

(2) المرجع نفسه.

(3) آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي.

(1) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد.

طريق قواعد تأويلية اصطلاح على تسميتها  
«مسلمات الحوار».

في صوغ هذه القواعد، يُمثّل للسياق في شكل  
«طبقة سياقية» (ط ق (ي)) كما هو الشأن في  
الصياغة العامة (16):

$$(16) \text{ ط ق (ي) } \wedge \text{ م ح } \wedge \text{ ب } = \text{ ك}$$

حيث ط ق = طبقة سياقية، م ح = مسلمة  
حوار، ب = بنية منطقية ك = قضية

تُقرأ القاعدة (16) كالتالي:

في الطبقة المقامية (ي) واعتمادا لمسلمة  
الحوار م ح، تستلزم البنية المنطقية ب  
القضية ك

لم يعد السياق في الفرضية الإنجازية  
خارج النموذج، بل أصبح يشكّل عنصرا من  
إحدى آلياته إلا أنه لا يتخذ وضع مكون قائم  
الذات كما هو الشأن في نظرية النحو الوظيفي  
كما سيتبين في المبحث التالي.

### 3.4. السياق مكونا

مرت نظرية النحو الوظيفي منذ نشأتها  
وعبر تطورها بنماذج مختلفة كان من  
نصيب السياق فيها اكتماله من حيث توّجه  
وبنيته وآلياته.

#### 3.4.1. من الانشطار إلى التوحد

كان من أهم ما سعت نظرية النحو  
الوظيفي في إحرازه بناء «نموذج مستعملي  
اللغة الطبيعية»، جهاز مصورن محوسب  
يضطلع برصد الملكات (اللغوية وغير

والسياق بمعناه الواسع الذي يشمل العلاقة  
القائمة بين نص ما ونصّ آخر، متحاقبين  
أو غير متحاقبين.

ما يلاحظ بهذا الصدد هو أن مصطلح  
المقام (ومرادفاته مثل «مقتضى الحال»  
و«قرائن الأحوال») يكاد يكون إطلاقه مقصورا  
في الدرس اللغوي القديم على ما يقابل السياق  
الخاص بشقيه المقامي والمقالي.

يوصف استعمال مفهوم ما أو آلية ما  
بالاطراد حين يشمل كل جوانب وأبعاد ظاهرة  
لغوية ما وظواهر من نفس النمط. من غير  
النادر أن تغيب هذه الخاصية في اللجوء  
إلى السياق عند اللغويين القدماء. من ذلك  
ما ينبه إليه الجرجاني حين ينتقد التمييز  
بين «التقديم المفيد» و«التقديم غير المفيد»  
(أو «تقديم التصرف») مُبيّنا أن كل أنواع  
تغيير الرتبة مفيدة بالضرورة لأنها محكومة  
بالسياق تقتضيها مقامات مختلفة.

### 2.4. السياق مقولة

ثمة منزلة يمكن أن نعدّها منزلة وسطى  
بين السياق مرجعا والسياق مكونا يتحقق  
فيها استيعاب السياق وإدماجه داخل الجهاز  
الواصف. هذا ما نجده متحصّلا في ما سُمّي  
«الفرضية الإنجازية» (أو «البراكمانتاكس»)،  
أحد النماذج المتفرعة عن النظرية التوليدية  
التحويلية المتسمة بتوجهها التداولي.

في هذا النموذج، ترصد ظاهرة «الاستلزام  
الحواري» أو «الفعل اللغوي غير المباشر» عن

سنُغنى في فقرات هذا البحث بجهود مُنظري نحو الخطاب الوظيفي (هنخفلد وماكنزي قيد الطبع) في موضوعي وضع المكون السياقي ودوره بالنظر إلى مكونات النموذج الأخرى وبنائه وتنظيمه على أساس وضعه ودوره.

#### 4. 3. 2. 1. موقع السياق ودوره

تتخذ مكونات نموذج نحو الخطاب الوظيفي أوضاعاً داخل الجهاز تختلف باختلاف ما تقوم به من أدوار أثناء عملية التواصل. فللمكون النحوي بمكوناته الفرعية الثلاثة الوضع المركزي في النموذج في حين يشتغل المكون المفهومي والمكون-الخرج والمكون السياقي اشتغال المكونات «المصاحبة» (أو «المساعدة»).

يقوم المكون السياقي في تفاعله مع المكونات الأخرى بدورين أساسيين: دور المصبِّ المُخزّن ودور الرافد المُغذّي.

#### 4. 3. 1. 1. السياق مصباً

يقوم المكون السياقي بدور المصب باعتبار تلقيه وتخزينه للمعلومات التي ترد عليه.

هذه المعلومات فتتان: معلومات مقامية ومعلومات مقالية. تتضمن الفئة الأولى، في رأي هنخفلد وماكنزي كل ما يتعلق بالموقف التواصلية المتلخصة في المركز الإشاري الذي يمثل للمشاركين في عملية التواصل

اللغوية) التي تُسخر في التواصل إنتاجاً وتلقياً.

ومن الصياغات التي اقترحت لبلوغ هذا المأرب صياغة «النموذج المعياري» (دك (1997)) وصياغة «نحو الخطاب الوظيفي» (هنخفلد وماكنزي (2008)).

من المقارنة بين الترسيمة (9) و(14) تتبين السمات الفارقة بين الصيغة المعيار وصيغة نحو الخطاب الوظيفي ومن أهمها ما يخص تعاملهما مع السياق.

الفارق من هذا المنظور فارقان: فارق في التنظيم وفارق في المضمون.

فارق التنظيم هو أن السياق منشطر في الصيغة الأولى موزع على قالبين اثنين، القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي، في حين أنه يشكل مكوناً واحداً في الصيغة الثانية.

أما فارق المضمون فيمكن في أن السياق حاضر بشقيه المقامي والمقالي معاً في الصيغة الثانية بيد أن التركيز منصب على الشق المقامي خاصاً وعماماً في الصيغة الأولى. ولعل ذلك راجع إلى أن نظرية النحو الوظيفي في مراحل تطورها الأولى لم تكن تهتم -برمجياً- إلا بالخطاب في بعده الجملي.

فارقاً التوحد والشمول هذان يمنحان الأفضلية للنمذجة في نحو الخطاب الوظيفي ولها نخصص الحديث فيما سيلي.

#### 4. 3. 2. نموذج نحو الخطاب الوظيفي



يتم تخزين المعلومات تخزيناً تراثياً حيث تحتل المرتبة الأولى في المخزون آخر معلومة وردت. إلا أن هذه المعلومة تفقد «جديتها» أثناء عملية التواصل بتغير الزمان (وربما المكان كذلك) فيكون لها أحد مصيرين: إما أن تخزن في درج أسفل تاركة الدرج الأعلى لمعلومة أحدث منها إذا كانت من المعلومات التي ينوي العودة إليها أو تتلاشى تدريجياً إلى أن تتمحي من المخزون السياقي كلياً إذا كانت من المعلومات «العابرة» أو من المعلومات التي طال أمد تخزينها وأصبحت بالتالي فوق طاقة التخزين.

#### 4. 3. 2. 1. 2. السياق رافداً

يشغل المكون السياقي في الاتجاه الآخر فيقوم بدور الرافد. وتكون رفاذته رفاذات ثلاثاً بالنظر إلى المصدر وإلى الهدف وإلى الطريقة: فالمعلومات ترد من السياق المقامي أو السياق المقالي أو منهما معا وتوجه إلى المستوى العلاقي أو المستوى الصريفي-التركيبى أو إلى المستوى الفونولوجي.

والرفادة من حيث المسلك رفاذة مباشرة ورفادة غير مباشرة (أو موسّطة). مثال ذلك أن المكون السياقي يمد مباشرة مكون الصياغة بالمعلومة التي تحدد نوع البؤرة (بؤرة جديد/بؤرة مقابلة) وبذلك يمد بطريقة غير مباشرة المكون الصريفي-التركيبى بالمعلومة التي تحدد الرتبة أو انتقاء تركيب مخصوص.

وزمانها ولمكان هذه العملية وما يتواجد في محيطه كما يتبين من الترسيمة التالية:

(17) مركز إشاري =  $[(0ك) (0ط)]$   
[(0م) (0زم)]

حيث يؤشر الرمز (ك) (ط) إلى المشاركين في عملية التواصل؛ أي المتكلم والمخاطب والرمزان (مك) و(زم) إلى المكان والزمان المتواصل فيهما على التوالي.

أما معلومات الفئة الثانية، في رأي هذين المؤلفين، فهي المعلومات المستقاة من الجوار النصي؛ أي الخطاب السابق والخطاب اللاحق.

نرى أن في هذا التعريف بالمعلومات التي يتلقاها المكون السياقي تقليصاً غير مبرر ونقترح أن توسع حقيقة هذا المكون فيصبح مصباً لا لمعلومات المقام الخاص المرتبطة بموقف التواصل فحسب بل كذلك لمعلومات المقام العام؛ أي الخلفية الاجتماعية-الثقافية ويصبح مصباً لا للمعلومات المستقاة من الجوار النصي المباشر فحسب بل كذلك لكل ما ينضوي تحت مفهوم «التناص».

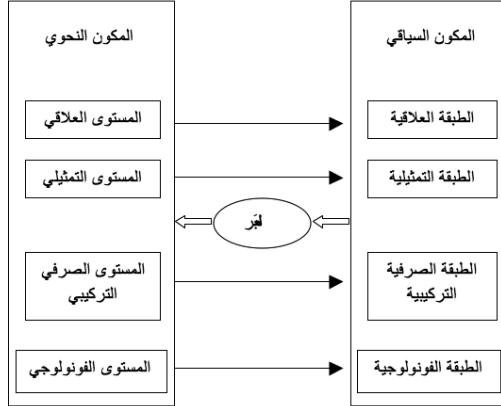
يخضع تلقي المعلومات وتخزينها حسب هنغفلد وماكنزي لصيرورة قطباها «البروز» من جهة و«التلاشي» من جهة ثانية يحكمها مبدأ ما أسماه «التخزين التراتبي».



#### 4.3.2.1.3 المعبر

فونولوجية، وهي طبقات تُوَازي مستويات المكون النحوي العلاقي والتمثيلي والصرفي-التركيبية والفونولوجي.

بيان هذا التوازي بين المكونين في الترسيمة (19):



ويذهب المؤلفان بمبدأ التوازي إلى أبعد من ذلك حيث يقترحان أن تستعمل في التمثيل لطبقات المكون السياقي نفس الرموز المستخدمة في التمثيل لمستويات المكون النحوي.

من مبررات التوازي بين المكونين بنية وتمثيلاً أنه يتيح التوحيد بين مكونات النموذج دون المس بخصائصها كما يتيح تبسيط عملية العبور وضبطها. ويمكن، إضافة إلى هذا وذاك، من ترشيد توزيع المعلومات الواردة من الطبقات السياقية بحيث يتم نقل معلومات كل طبقة إلى المستوى النحوي المناسب.

حين ننظر إلى موقع السياق من منظوري الإنتاج والتلقي معاً، يصبح من البين أن

هذا التفاعل بين المكون السياقي ومكونات نموذج النحو الخطاب الوظيفي يحتاج في نظر هنخفلد وماكنزي إلى آلية خاصة تقوم بدور «الواصل» أو «الوسيط» بينه وبين تلك المكونات.

هذه الآلية تتخذ دخلاً لها كل طبقات حقيقة المكون السياقي وتقوم بتوزيع المعلومات في اتجاه مختلف المكونات الفرعية للمكون النحوي كما يتضح من الترسيمة (18):



يمكن أن نطلق على هذه الآلية مصطلح «المسوّق» أو مصطلح «المعبر» (مجانسة لمصطلحي المصب والرافد).

#### 4.3.3.3.4 بنية السياق وتنظيمه

نّبّه دك في معرض الحديث عن نموذج مستعملي اللغة الطبيعية (في صيغته المعيار) إلى أهمية أن «تتكلم القوالب نفس اللغة».

نجد نفس هذه الفكرة مطورة عند هنخفلد وماكنزي<sup>(1)</sup> حيث يقترحان أن تكون بنية المكون السياقي موازية لبنية المكون النحوي.

فحسب هذا الاقتراح، يتضمن المكون السياقي أربع طبقات؛ طبقة علاقية، وطبقة تمثيلية، وطبقة صرفية-تركيبية، وطبقة

(1) هنخفلد وماكنزي (قيد الطبع).

أعلاه التي يفاد منها فيما يخص موضوعنا أن المتلقي (ب) يمكن أن يعتمد المكون السياقي 1 (أي سياق الإنتاج) أو المكون السياقي 2 (أي سياق التلقي) وهو يقوم بعملية تحليل الخطاب أو بعملية تحويله (نقله، ترجمته،...) على السواء.

### خلاصة

استُخدمت كل النماذج المقترحة في نظرية النحو الوظيفي داخل حقل البحث اللساني العربي في وصف ظواهر اللغة العربية فصحاها ودوارجها إضافة إلى لغات أخرى كما تم إجراؤها في قطاعات اجتماعية-ثقافية مختلفة. وقد كان هذا التباين في اللغات المدروسة وهذا التنوع في القطاعات المستكشفة من أهم ما ساهم في ضبط صناعة النماذج والمفاضلة بينها وتطويرها نحو الألفى.

ومن المنتظر أن تخضع النمذجة في نظرية النحو الوظيفي للمزيد من التعديل والإغناء كلما اتسع مجال رَوَز انطباقيتها.

ترسيمة نحو الخطاب الوظيفي المعيار (الترسيمة (14)) تمثل لعملية إنتاج الخطاب (أكثر مما تمثل لعملية تلقيه) حيث تتم انطلاقاً من القصد إلى النطق (الصوت أو الخط أو الإشارة) عبر الفحوى.

أما عملية التلقي، فإنها تأخذ المسار العكسي حيث ينطلق المخاطب من الصوت (أو الخط أو الإشارة) إلى القصد مروراً بالفحوى. يعني هذا بالنظر إلى بناء النموذج أن المخاطب ينطلق من ناتج المكون-الخرج إلى المستويين التمثيلي فالعلاقي مروراً بالمستويين الفونولوجي فالصري-التركيبى.

فيما يخص السياق بالذات، نكون بين اثنتين: إما أن يعتمد المتلقي سياق الإنتاج ذاته، وإما أن يشغل سياقه الخاص ويحصل ذلك غالباً حين يكون التواصل توأصلاً غير مباشر غير متزامن كأن يكون المتلقي يقرأ كتاباً لمؤلف لا يعاصره مثلاً<sup>(1)</sup>.

في الحالة الثانية، يتحتم إضافة مكون سياقي ثانٍ يفي برصد عملية التلقي وذلك ما قمنا به في إطار اقتراحنا لما أسميناه «نحو الخطاب الوظيفي الموسّع»<sup>(2)</sup>، نموذج يضطلع برصد جميع العمليات التي يمكن لمستعمل اللغة الطبيعية القيام بها من إنتاج للخطاب وتلقيه وتحويله (ترجمة ونقله وتلقيه...) كما يتبين من الترسيمة (19)

(1) أحمد المتوكل، السياق: موارده ومواده وأنماطه. توطئة لمكون سياقي مندمج.

(2) أحمد المتوكل، الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة.

## بيبلوغرافيا:

- أحمد المتوكل:
- «المكون السياقي في نحو الخطاب الوظيفي»، مجلة بيان، العدد الأول، السنة 2014م
- الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ضمن كتاب التداوليات: علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الجديد، إربد، الأردن، 2011 م.
- السياق: موارده ومواده وأنماطه. توطئة لمكون سياقي مندمج. ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم د. حافظ اسماعيلي علوي دار كنوز المعرفة، 2013م.
- اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري. منشورات عكاظ، الرباط، 1989م.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد. دار الأمان، الرباط، 2006م.
- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي. الطبعة الثانية، جداول للنشر والترجمة والتوزيع بيروت، 2013م.
- الوظيفية بين الكلية والنمطية.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد.
- Chomsky, Noam, Reflections on language. Pantheon Books New York, 1967.
- Dik, Simon C, The Theory of Functional Grammar. Foris, Dordrecht, 1978.
- Halliday, M.A.K, Language Structure and Language Function,. In: Lyons, John (ed) New Horizons in Linguistics. Penguin Books, 1970.
- Harris, Zellig S, Discourse Analysis, Discourse Analysis. Mouton
- Saussure F. D., Cours de linguistique générale, Publié par Charles Bailly et Albert Sechehayé Editions Payot & Rivages, Paris 1967.